

الفشل بدراسة فكر النهضة دراسة تفصيلية وبرؤية جديدة . فحين يوضع هذا الفكر داخل الممارسة التاريخية فانه يكشف عن تناقضاته ، التي تعكس التناقضات الاجتماعية داخل سياق بناء مشروع السلطات القطرية .

يكشف هذا « البيان » انسداد الفكر البرجوازي وعجزه وهزيمته . لكنه ، في بحثه عن رسم خط بياني لتطور فكر وسياسات « النهضة » ، يهمل دراسة بعض التناقضات الهامة في هذا الفكر . والتي تعكس محاولة اجزاء من النخبة العربية المبحث عن قاعدة شعبية للاستقلال الوطني . ولعل التيار الذي يمثلته شكيب ارسلان ، في اصراره على اولوية الصراع مع الغرب الامبريالي على كل صراع اخر ، كان الصيحة التي تستكمل رؤية الافغاني ، وتضعها في افق الممارسة السياسية .

« ان نظامنا الحديث ، منذ النهضة الى اليوم ، لا يقوم الا بثلاثة مبادئ : النهب وحصيلته الافقار ، والقهر وحصيلته الاسترقاق والاستعباد السياسي ، والترجمة والتقليد وحصيلتهما الجهل وقصور نشاطات الحياة على النشاط الاولي والبدائي البيولوجي » .

ان نهاية قدرة الايديولوجية المسيطرة ، بمختلف تياراتها واتجاهاتها ، على الفعل ، لا تبشر فقط بولادة الديكتاتورية المكشوفة ، لكنها تشير ايضا الى ولادات متعددة لنسق فكري وسياسي جديد . فالممارسة الديموية التي خاضتها الجماهير ، من رمال سيناء الى الشاطئ الفلسطيني - اللبناني ، هي مؤشر لولادة جديدة . فدراسة فكر « النهضة » خارج اشكالية « الاصلاح » بتياراته الثلاثة : الاصلاح الديني ، والاصلاح السياسي والاصلاح الاقتصادي ، يقود الى تأسيس فهم جديد للديمقراطية . فالديمقراطية الشعبية وحدها ، ديمقراطية المنتجين ، هي التي تستطيع انتشال الامة من هاوية التشرذم التي تقاد اليها .

هل اجبنا على سؤالنا الاساسي : ما هو النفط ؟

ام ان العقم والصحراء التي تحاول ابتلاع المدن ، تحتاج الى دراسات تفصيلية ، ليس هذا البيان الا مقدمتها ؟